جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'Sila
مخبر الشعرية الجزائرية
Laboratoire la Poétique Algérienne

أعمال الكتاب الجماعي الدولي الأول

جهــود المفكرين العـرب فــي التعرف علــى الحضارة الغربية

أثـــر ثقافة الاستغـــراب في اللغة و الأدب العربي

The efforts of Arab thinkers to identify the Western civilization

The impact of the Occidentalism culture on Arabic language and literature

15 ماي 2021 / 15 MAI 2021

منْشورات مخْبر الشّعرية الجزائرية

البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

تنسيق

د. بحوص زكري

رقم الإيداع القانوني
978- 9931- 752- 47- 9

جهود المفكرين العرب في التعرف على الحضارة الغربية / أثر ثقافة الاستغراب في اللغة والأدب العربي
أعمال الكتاب الجماعي الدولي الأول

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

منْشورات مخْبر الشّعرية الجزائرية

البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

ISBN : 978- 9931- 752- 47- 9
9 789931 752479

البدر الساطع للطباعة والنشر
العلمة -19600-الجزائر
هاتف/فاكس : 08 40 76 036
النقال : 56 16 31 70 07/ 53 30 71 55 05
البريد الإلكتروني : elbadr_essatie@yahoo.com

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

عنوان الكتاب

أعمال الاستكتاب الدولي الأول

الاستكتاب الدولي الأول لمخبر الشعرية الجزائرية

جهود الباحثين العرب في التعرف على الحضارة الغربية

ماي 2021

جمع الحقوق محفوظة

ماينشر من مداخلات في هذا الكتاب الجماعي يعبر عن أفكار أصحابها مع تحملهم المسؤولية القانونية والأخلاقية عنها

تنسيق وإشراف رئيس الملتقى الدكتور:

الدكتور بحوص زكري

مراجعة أ.د. فتحي بوخالفة مدير مخبر الشعرية الجزائرية جامعة المسيلة الجزائر

منشورات مخبر الشعرية الجزائرية

جامعة محمدبوضياف المسيلة 2021

الفهـــــرس

العناوين	الصفحات
فهرس المشاركين	4-3
كلمة مدير المخبر	6
مداخلات الملتقى	234-7
علم الاستغراب: المفهوم والنشأة أ.د. جميل جمداوي-المغرب	33-7
الاستغراب مفهومه وجذور نشأته ودوافعه وأهدافه الدكتور: علي بعداش	43-34
إشكالية المصطلح بين الترجمة والتعريب الدكتور: كبير الشيخ	67-44
الفكر العربي بين التحرر والاتباع -حوارات في علم الاستغراب أنموذجاً- الدكتور: ابراهيم زلافي	78-68
الاستغراب مدخلا للأدب الرقمي العربي - جهود الترجمة نموذجاً - خديجة باللودمو	91-79
أساسيات الاستغراب عند عبد الوهاب المسيري الدكتور: خليفه عوشاش	102-92
الخطاب الروائي العربي بين وعي الذات و تجلي الاستغراب الدكتور: زكري بحوص	121-103
الاستغراب في -رواية عازف الغيوم-لعلي بدر الدكتور:مقران مراد	130-122
المفهوم الحسني لعلم الاستغراب قراءة تأصيلية تأسيسية الدكتورة فتيحة حلوي	143-131
أثر الاستغراب في اللسانيات العربية المعاصرة من خلال كتابات عبد الرحمن الحاج صالح.	153-144

الدكتور: عادل زواقــري	
الاستغراب عملية تحوّل اتّجاه الاستشراق **الدكتور: فتح الله بن عبد الله** **الطالبة: نفيلة طيوب**	161-154
الاستغراب بين علاقة الذات بالأخر وسؤال الإنسان الراهن **هشام مصباح**	171-162
استراتيجيات العرب قديما في تدوين الموروث الثقافي للأمم **فـاطمة الزهـراء دريــدي طــالبـة دكتوراه**	188-172
ثقافة الاستغراب وجدل الأنا والآخر **رحلي نعيمة**	202-189
Bayt al-H'ikma : cette lumière qui vient de l'Orient ***Dr. Khalil BABA- Maroc***	221-203
Regards modérés de Malek Bennabi sur l'occidentalisme ***Dr Salah FAID***	233-222
Altérité culturelle et le discours occidental à l'ère de la mondialisation/globalisation ***Gherbaoui Amar***	243-234

الخطاب الروائي العربي بين وعي الذات و تجلي الاستغراب

الدكتور: زكري بحوص

*** جامعة المسيلة ***

مقدمة

تناولت الكثير من الروايات العربية موضوعة ثنائية الأنا والآخر عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة سواء كانت سلبية أم إيجابية تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب. وقد قدم الخطاب الروائي العربي صورة الآخر من خلال أنماط و رؤى و صور في روايات الأنا والآخر، يمكن حصرها في مسارات معينة :

الرؤية الانبهارية» وهي تلك النظرة الأولى للأنا وهي تتأمل منجزات الآخر المماثل أو المخالف تلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب والانبهار بحضارة الغرب.

كما نجد «الرؤية الحضارية»، وهي التي تشكلت روائيا وفنيا وإبداعيا في العقود الأولى من القرن العشرين وذلك مع جيل الكتاب الذين سافروا إلى الخارج لطلب العلم كطه حسين وتوفيق الحكيم ويحيى حقي ويوسف إدريس وسهيل إدريس، وآخرين.

غير أن هؤلاء الأدباء لم ينبهروا بالغرب إلى درجة السذاجة والاستغراب، فلم ينتبهوا إلى أسباب تقدم الغرب ماديا وتقنيا وعلميا وثقافيا فقط، ولكنهم تنبهوا أيضا إلى قيمة الشرق وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية، والدفاع عن أصالته وعاداته وتقاليده وحضارته وشرقيته. ومن ثم تصور رواية «أديب» لطه حسين -ذات الطابع البيوجرافي- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

كذلك تعرض رواية «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم «مفارقات تقوم على تقابل الشرق بمقوماته مع الغرب بمقوماته في قصة تتصل بحياة الكاتب في فرنسا.«

وهناك «الرؤية السياسية والحقوقية» ونقصد بها تلك النظرة المبنية على تشخيص النظام السياسي لدولة ما، وتبيان طبيعة الحكم والدستور ورصد علاقة الحاكم بالمحكوم سياسيا ومدنيا وعسكريا، وتشخيص الحالة السياسية للدولة. ويتجلى ذلك عبر عدد من الروايات العربية، مثل رواية «شرق المتوسط» للكاتب عبدالرحمن منيف، ورواية «نجمة أغسطس» للكاتب المصري صنع الله إبراهيم، ورواية «رحلة الربيع والخريف» للكاتب السوري حنا مينه.

وهناك «الرؤية العدوانية» التي تستند إلى اعتبار الغير أو الآخر مخالفا أو مقابلا للأنا أو الذات، وبالتالي فالغير يحاول تغريب الذات وإقصاءها وتهميشها مع ممارسة العدوان، فيصبح الغير جحيما لا يطاق.وتظهر هذه الرؤية العدائية والصدامية في رواية «أمواج البحر» للكاتب المغربي مصطفى شعبان.

و رواية «قنديل أم هاشم» للكاتب الراحل يحيى حقي والتي تعد من أفضل الأعمال التي ناقشت رؤية الشرقيين والغرب. وانطلاقا من هذه الحيثيات تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على تجلي الاستغراب ووعي الذات في الخطاب الروائي العربي .

توصيقات مصطلحية:

مفهوم الاستغراب لغة واصطلاحا:

لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "غرب": [1]

واسْتَغرَبَ في الضَّحِك، واستُغْرِب: أكثر منه.

وفي الحديث: أنه ضحك حتى استَغرب، أي بالغ فيه.

يقال: أغرب في ضحكه، واستغرب، وكأنه من الغرب البُعد؛ وقيل: هو القهقهة. وفي حديث الحسن: إذا استغرب الرجل ضَحِكا في الصلاة، أعاد الصلاة.

واستغرب الدمعُ: سال.

أما في معجم مصطلحات النقد العربي القديم[2]:

أغرب الرجل: جاء بشيء غريب، واستغرب في الضحك: أكثر منه، والاستغراب: التعب أو المجيء بالشيء الغريب أو المبالغة فيه.

قال قدامة: «قد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الاستغراب والطرفة، وهو أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه».

اصطلاحا:

إن الأقلام التي تناولت مصطلح الاستغراب، انقسمت من حيث المعنى والاستعمال إلى فريقين، فريق أراد به علما، حيث دعا أصحابه إلى تأسيس علم الاستغراب" في مقابل الاستشراق، وفريق قصد به طلب الغرب والميل إليه والتعلق بثقافته، وفيما يلي عرض موجز الآراء أهم الباحثين والمفكرين في الموضوع، حول هذا المصطلح:

يقول أحمد سمايلوقتش: « وعلى هذا يمكن القول أن كلمة "الاستغراب" مأخوذة من كلمة "غرب"، وكلمة غرب تعني أصلا مغرب الشمس، وبناء على هذا يكون الاستغراب هو

علم الغرب، ومن هنا يمكن كذلك تحديد كلمة "المستغرب" وهو الذي تبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها»[3].

ويرى أحمد **سمايلوقتش** في كتابه" **فلسفة الاستشراق**"، أنه يمكن أن ينشأ في العالم العربي الإسلامي اتجاه للبحث شبيه بالدراسات الإسلامية عندنا ولكن في الجهة المقابلة، بهدف دراسة تاريخ الفكر في العالم المسيحي الغربي وتحليله بطريقة عملية، ويمكن أن يطلق على مثل هذا الاتجاه في البحث إن أخذ مأخذ الجد، وأرسيت له قواعده الثابتة كنظام: علم الغرب أو باختصار الاستغراب"».[4]

أما **حسن حنفي**، فقد خصص لهذا المصطلح كتابا ضخما بعنوان "**مقدمة في علم الاستغراب**"، والذي دعا فيه إلى تأسيس علم الاستغراب، يقول حسن حنفي: « الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الاستشراق، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب)، يهدف علم الاستغراب إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر».[5]

وأوضح حسن حنفي في محاضرة ألقاها في مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة، بعنوان ماذا يعني علم الاستغراب"، أنه « اشتقاقا استغرب من لفظ الغرب استغراب، مثل الشرق استشرق استشراق، لكنه ليس ضد الاستشراق هو استكمال لحركة التحرر العربي؛ فلا يكفي الحركة التحرر أن نتحرر من قوات الاحتلال ولكن نتحرر من أن نكون أشياء وموضوعات الدراسة» [6]. كما وضح بان علم الاستغراب هو جزء من مشروع أعم، وهو مشروع التراث والتجديد، والخروج من الهيمنة الغربية.

ويضيف حسن حنفي في كتابه "مقدمة في علم الاستغراب"، قائلا: « وقد نشا علم الاستغراب (Occidentalism) في مواجهة التغريب (Westernization)، الذي امتد أثره ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهدد استقلالنا الحضاري، بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة. صاحب الانفتاح الاقتصادي أعلى الرأسمالية العالمية والانفتاح اللغوي على الألفاظ الأجنبية، فكل كلمة عربية تتجاوز عقدة نقصها بإلحاقها بكلمة غربية أو تنقل الألفاظ الإفرنجية إلى الحروف العربية، وضاعت اللغة الفصحى»[7].

ووضح حسن حنفي بأن مهمة علم الاستغراب: « فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر. ..والقضاء على مركب العظمة لدى الأخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس» [8] ؛ أي القضاء على الإحساس بالعجز والضعف أمام الغرب (لغة وثقافة وعلما...)، وكذلك « ردا على المركزية الأوربية (Euro centrism)؛ بيان كيف أخذ الوعي الأوربي مركز الصدارة عبر التاريخ الحديث داخل بيئته الحضارية الخاصة» [9]، أي رد ثقافة الغرب إلى حدودها، والتي انتشرت « إبان عنفوانه الاستعماري من خلال سيطرته على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث العلمية، والاستخبارات العامة»[10]، ورد للثقافة العالمية «التي يتوحد بها الغرب، ويجعلها مرادفة لثقافته، وهي الثقافة التي على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة، فالفن فنه، والثقافة ثقافته... »[11].

أما على إبراهيم النملة في كتابه "الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب"، يقول: الاستغراب هو دراسات علمية وفكرية وثقافية للغرب»[12]، ويرى طيب تيزيني في كتابه "**من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي**"، بأن الاستغراب « يظل يمثل ميلا ذهنيا (إيديولوجيا) يشير إلى الداخل (العربي المغربي هنا)، الذي قدم مادة صنع الاستشراق الخام»)، كما استخدمه أبو الأعلى المودودي في كتابه "الحجاب"، إذ يقول: « المستغربون: المائلون إلى الغرب المفتتنون بحضارته، هكذا استعمل هذه الكلمة الكاتب الكبير محمد البشير[13]الإبراهيمي في بعض مقالاته في مجلة (البصائر)، فاخترناها على غيرها من الكلمات في هذا المعنى كالمتغربين والمتفرنجين» [14]، أما في كتاب المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي"، يقول صاحبه عبد العظيم محمود الديب في فصل إلى المستغربين:" ومن هنا من داخل الموقع الفكري والحصن الثقافي، الذي مازال مهددا من داخله يجئ كلامنا موجها إلى المستغربين لا إلى المستشرقين، إلى جماعة من أبناء أمتنا، ينطقون لغتنا، ويتكلمون بلساننا، ولهم ملامحنا وسماتنا، ولكن قلوبهم غير قلوبنا، فقد استلبوا حضاريا وثقافيا، وسقطوا في أسر الحضارة الغازية... وإنما مأساتنا في المستغربين، الذين ما زالوا- رغم كل ما انكشف من خبء المستشرقين ومستورهم يحملون أفكارهم ويعيشون بمفاهيمهم، وهؤلاء المستغربون هم الذين ورثهم الاستعمار. قبل أن يرحل عنا- قيادة الفكر، والتثقيف، والإعلام، جيلا بعد جيل، ومكن لهم من وسائل القيادة وسلطانها» [15].

في حين أن **عبد الله الشارف** يقترح تعريفا للاستغراب، بأنه « ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة، يتميز الأفراد الذين يجسدونها بالميل نحو الغرب والتعلق به ومحاكاته، نشأت في المجتمعات غير الغربية. سواء أكانت إسلامية أم لا. على إثر الصدمة الحضارية التي أصابتها قبيل الاستعمار وخلاله» [16]، ونجد أن المستشرق **هاملتون جيب**، كان السباق في الحديث عن الاستغراب، عن كثير من الباحثين، يقول: « والتعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تدعوا

إلى الاستغراب، ولسنا نستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسته للفكر الغربي وللمبادئ والنظم الغربية»[17]، ويرى أحمد سمايلوقتش بأن جيب يقصد هنا بالاستغراب الأخذ بالثقافة الأوربية الغربية أو بمعنى التغريب، في حين أن عبد الله الشارف أيد جيب هاملتون في أن التعليم من العوامل التي تدعوا إلى الاستغراب.

وإذا ما نظرنا لقول عبد الله الشارف: « ويبدو أن الاستغراب، سيظل مكرسا في كل مجتمع عاش زمنا تحت نير الاستعمار»[18]، وأن الذات الواعية هي المحور الأساسي للاستغراب، بحيث أن المستغرب يعي استغرابه تمام الوعي ويمارسه بكامل إرادته وشخصيته، وكذلك قول أبو القاسم سعد الله في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي": « ونريد الآن أن ندرس ظاهرة أخرى في هذا المخطط الاندماجي الفرنسي... ومن الممكن تسميتها بنواة الاستغراب والاندماج والتفرنس. ونحن نعتبر ذلك من الفرنسيين أمر طبيعية، فكل أمة تحتل أمة أخرى تريد فرض سيطرتها بإلغاء النظم التي سبقتها وتعويضها بنظمها الخاصة»[19].

وكذلك مفهوم طيب تيزيني للاستغراب بوصفه ميلا ذهنيا إيديولوجيا يشير إلى الداخل العربي المغربي هنا)، فإننا نتوصل إلى أن الاستغراب هو ميل ذهني إيديولوجي للغرب ومحاكاته، نشأ في المجتمعات المغاربية وبخاصة (الجزائر، تونس، المغرب)؛ أي الدول الفرنكفونية، إثر فترة الاستعمار، فهو امتداد للاتجاه الاندماجي الاستغرابي لسياسة فرنسا الإدماجية، والتي كانت تهدف إلى تحويل أو تمدين المجتمعات المغاربية إلى مجتمعات فرنسية (لغة، دين، نظم، ثقافة...)، لكي تصبح تلك المجتمعات أو بالأحرى الشخصية المغاربية فرنسية النشأة، وامتد أثره للمجال الأدبي بعد الاستقلال؛ إذ أن تلك الدواعي الإدماجية/ الاستغرابية) خلقت حالة من الذوبان في الآخر، وساهمت في تشكيل رؤية الأديب المغاربي، حتى دبت نزعة الاستغراب، وبخاصة في مجال الرواية، وهذا ما أدى إلى غربة الأديب وتعميق الهوة بينه وبين قارئه.

رؤية الآخر ووعي الذات في الخطاب الروائي العربي:

قبل الحديث عن وعي الذات ورؤية الآخر في الرواية العربية، سنقف أولا على المدلول اللغوي والاصطلاحي، لكلمتي" الذات"، "الآخر"، واللتان تجتمعان في نهاية الأمر في فضاءات الكينونة الإنسانية.

1. **المفهوم اللغوي:**

- **الذات:**

جاء في معجم اللغة العربية، في مادة "ذات"[20]

ذات الشيء: حقيقته وخاصته، وإذا قلت:« قلت ذات يده » فإن "ذات هنا اسم لما ملكت يمينه، وذات" ناقصة، تمامها "ذوات" مثل ذواة فحذفوا منها الواو، فإذا ثنوا أتموا فقالوا: "ذواتان" كقولك ذواتان"، وإذا ثلثوا رجعوا إلى "ذات"، فقالوا ذوات.

وفي المعجم الفلسفي[21]:

في نظرية المعرفة: "الذات" Sujet (F) Subject (E)، ما به الشعور والتفكير، فتقف الذات على الواقع وتتقبل الرغبات والمطالب، وتوجد الصور الذهنية وتقابل العالم الخارجي، ويطلق اللفظ الأجنبي على ما يساوي الماهية، وهي الخصائص الذاتية لموضوع معين، وتقابل الموجود Essence et existence، ومنه التعبير الشائع: الوجود والماهية.

-الآخر:

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة " آخر"[22]:

والآخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر.

أما في منجد اللغة والعلوم [23]:

الآخر جمع آخرون، مؤنث أُخرى وأُخراة جمع أخر وأُخرَيَات: بمعنى غير، ولكن مدلوله خاص بجنس ما تقدمه، فلو قلت: "جاءني رجل وآخر معه"، لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلته، بخلاف غير، فإنها تقع على المغايرة مطلقة.

2. المفهوم الاصطلاحي:

- **الذات:**

يتحدد تعريف الذات في أنها« تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد، ويعتبره تعريفة نفسية لذاته، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية أو الخارجية »[24]، فالذات« مرتبط بالشعور والتفكير، فهي تؤثر في توجه الفرد انطلاقا من نزواتها وهواجسها، وكذا تقلباتها في فلك الأسئلة والبحث عن أجوبة» [25].

وعرف "فرويد" الذات على أنها « مجموعة من العمليات، هي الإدراك والتفكير والتذكر، المسؤولة عن تطوير وتنفيذ خطة عمل للوصول إلى إشباع الاستجابة للبواعث الداخلية» [26]، ويمكن أن تعني الذات« ما يمائل تعويضا عن الاصطدام بين الخصائص الشخصية والمألوفات المجتمعية، نجده في الاشتباك الواقع بين العالم الداخلي والعالم الخارجي»[27]، أما "كارل

يونغ" فيفرق بين الأنا والذات، ويرى أنه « بين الذات والأنا مسافة مثل ما بين الشمس والأرض»[28].

ونجد أن: الأنا« يتكون من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات. إن الأنا مسؤول من شعور المرء بهويته واستمراريته، وهو من وجهة نظر الشخص ذاته يعتبر في مركز الشخصية [29]»، في حين أن الذات تكون « المجموع الكلي لكل ما يستطيع الإنسان أن يدعي أنه له جسده وسماته وقدراته، ممتلكاته المادية، أسرته أصدقاءه وأعداؤه... [30]»، ومن هنا يمكن أن نفهم من أن الذات أوسع دائرة من الأنا، كونها تضم بالإضافة إلى الأنا الفردية الأنا الجماعية (النحن).

- **الآخر:**

يفيد مفهوم الآخر« كل ما يختلف عن الموضوع والذات، فيشمل الاختلاف كذلك مستوى الأشياء...» [31]، كما نجد بعض الفلاسفة من يعرفه« بمعنى صفة كل ماهو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير "الأنا"، مقولة ابستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة، أي كينونات موضوعية» [32].

فالآخر هو « الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه، وهو يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهية، تبدأ من أدق الانشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات... ولا تنهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان، فالفرد يمكن أن يكون آخر حتى بالنسبة إلى نفسه قبل مدة قصيرة، ويمكن أن يتحول إلى آخر بعد مدة قصيرة أيضا. وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض» [33]، وهو كذلك « مصدر تحرر الأنا من أنا نهائية وحتمية، وساحة اكتشاف وتعرف على ميدان انتشار وتحقق جديد لها، أي ايكون الآخر وسيط خروج من الذات وطريقا للعودة إليها، ومجالا لاكتشاف النقص فيها وطريق امتلائها في آن» [34]، إذن ومما لا شك فيه فإن عملية اكتشاف الذات تقتضي وجود وجود الآخر ولا تتم بمعزل عنه والعكس.

تجليات وعي الذات ورؤية الأخر في الرواية العربية:

على ضوء الاتصال بين الشرق والغرب، فإن حملة نابليون بونابرت على مصر (1798-1801)،« وما استولدته من شعور بأخطار وتحديات تواجه الذات القومية، كانت كفيلة بتفجير سؤال الهوية بصورة غير مسبوقة في تاريخ العرب... ومثلما كشفت الحملة عن حالة التخلف والضعف التي تعيشها مجتمعات الشرق العربي، فإنها جمدت لحظة مهمة من لحظات المواجهة مع الغرب، أنتجت لدى النحن العربية صورا متلبسة ومعقدة عن الآخر الغرب، اختلط فيها

البعد السياسي بالبعد الثقافي، وأخذت هذه الصور تأسس في وعي المثقفين العرب من رواد النهضة الحديثة »[35]، ومع الشعور بتفوق الغرب وبالعجز العربي، أصبح هاجس البحث عن الذات واكتشاف الهوية عبر العلاقة بالغرب (إعجابا أو نفورا)، حاضرا ومؤثرا في العقل العربي، بعبارة أخرى « صار الغرب الحديث مرآة للذات تعكس فيها صورتها، كما صارت الذات ترى الآخر في مرآتها [36]، فأصبحت الرواية العربية مجالا لهذا الهاجس، الذي نجده حاضرا ومؤثرا في نصوصها.

وتجابه الرواية العربية اليوم قضايا مهمة أبرزها الحديث عن الهوية ورحلة البحث عن الذات واكتشافها، عن طريق المقابلة بين صورة الذات أو الأنا أو النحن العربية وصورة الآخر الغربي، هذا الآخر الذي بدأ يكثر حضوره، ليشغل موضوع معظم الأعمال الروائية العربية، حيث أنه منذ بداية الخمسينيات على وجه التقريب بدا البحث عن الهوية العربية ممتزجا امتزاجا عفويا بالعقيدة.

ومن هذا المنطلق نستطيع رصد ملامح هذه الهوية في روايات هذه الفترة بالبحث عن اللاشعوري القومي و الوطني الذي عبر عن ذاته في عديد من الشخصيات والأحداث، كما نستطيع أن نرصد تباين طرائق البحث عن هذه الهوية في المشرق عنها في المغرب»[37]، نظرا لأن المشرق انشغل بالصراع ضد الأتراك الذين سعوا للنيل من الشخصية العربية، في حين انشغل المغرب العربي بالصراع ضد الغزو الأوروبي الذي سعى للنيل هو كذلك من العقيدة الإسلامية، لذلك نجد أن روايات المشرق العربي تميزت بتفاوت زمني وكمي عن روايات المغرب العربي، نتيجة الاستعمار من جهة و نتيجة التأثر بروائيي الغرب من جهة ثانية.

ثم إن البحث عن الهوية واكتشافها يظل متعلق بمعرفة الآخر، «إذن لا نستطيع في معرض الحديث عن الذات العربية أن نتجاهل هذا الآخر/الغرب، سواء بوجهه الإيجابي أو السلبي، فالغرب ليس كله تراكما، إنه ليس كله خيرا ».[38]

وتعد مسالة بلورة الكيان، الهوية، وعي الذات الفردية والقومية)، وعي الآخر (العالم)، مسالة قديمة العهد لدى مفكري وأدباء سائر الشعوب، فالرواية العربية، ومنذ محاولات ظهورها «سعت كي تكون مجلي لتلك المسألة، بما تعنيه من استيعاء لأوروبا وللذات القومية. هكذا تواتر إنتاج الطهطاوي، حسن العطار، علي مبارك، أحمد فارس الشدياق، فرح انطون، سليمان الفيضي، محمد المويلحي...ذلك الإنتاج الذي ناس بين أدب الرحلات وشبه الحديث الديني الروائي، وراد للنهوض الأدبي المتمثل بتجديد وسيادة النثر عبر فنونه الحديثة: المسرح والقصة والرواية»[39]، فقد شغل الآخر (الغرب) اهتمام المؤلف (الروائي) منذ البدايات الأولى

(رحلة الطهطاوي وكتابه" تلخيص الإبريز في تلخيص باريز"، علي مبارك وكتابه "علم الدين"...)، إلى عشرات الروايات بعدها تقصيا لوعي الآخر في وعي الذات.

سكن هاجس الآخر المتن الروائي العربي، نتيجة الاتصال المباشر وغير المباشر بالغرب، فباقتحام الحضارة الغربية وغزوها للمجتمعات العربية، « بدأ التعارض بين الأنا والآخر يتعمق في وعي الذات، وبدأت معادلة النهضة تأخذ صيغة المناهضة الغرب بالاستعانة بأسلحته المادية والفكرية". وهي صيغة تعكس نوعا من الازدواجية في فهم الحضارة الغربية، أي التردد بين التعلم من أوروبا، ومناهضتها في الوقت نفسه »[40].

ومع النقلة النوعية التي حققتها الرواية العربية، بدأ الكاتب ينظر إلى الآخر من خلال ذاته، و « بنت محاولات الكتاب الحثيثة لترسيخ وتطوير هذا الجنس الأدبي الوافد.. متساوقة مع تعبير هذا الجنس عن استيعاء العالم والذات، وهكذا تواترت النصوص منذ (عصفور من الشرق) حتى اليوم »[41].

وتأرجحت الرواية العربية في تصوير الذات وعلاقتها بالآخر والجدل القائم بينهما، «عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة، سواء أكانت سلبية أم إيجابية، تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب، وثنائية الذكورة والأنوثة، وثنائية التقدم والتخلف، وثنائية العلم والجهل، وثنائية المادة والروح...»[42]، واختلفت الرؤى من كاتب إلى آخر، كل حسب رؤيته للأخر، من رؤية انبهارية، حضارية، فسياسية حقوقية، وعدوانية، وقد تمخضت على هذه الرؤى الكثير من النصوص إلى أنبية، ثقافية، وروائية، سندرجها في مايلي على سبيل المثال لا الحصر:

الرؤية الانبهارية:

نقصد بالرؤية الانبهارية تلك النظرة الأولى للأنا وهي نتأمل منجزات الآخر، أي قتلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب والانبهار بحضارة الغرب، والافتنان بتقدمه وازدهاره في شتى العلوم والفنون والتقنيات والمعارف والآداب» [43]، نتيجة الصدمة الحضارية أو بالأحرى صدمة الحداثة أو صدمة الاستعمار.

ومن النصوص الأدبية الثقافية التي تجسدت فيها هاته الرؤية، كتاب " تلخيص الإبريز في تلخيص باريز " (1834) لرفاعة رافع الطهطاوي، و"علم الدين" (1883) لعلي مبارك، ويعد رفاعة رافع الطهطاوي أول مسجل للقاء الحضاري بين الذات العربية المثقفة والآخر الغربي، ويعد كتابه « أول كتاب عن رحلة خارج المجتمع العربي في العصر الحديث، يضم تقريرا حيا عن تجربة إنسانية محكية بأسلوب جديد »[44]، وقد عده الكثير من الباحثين بداية ميلاد الرواية العربية الحديثة، وبخاصة في ميدان الرواية التعليمية، كما عده جميل حمداوي «رحلة روائية

تعليمية وتثقيفية تطرح رؤية انبهارية قائمة على تمجيد العقلية الفرنسية، مع الإشارة في نفس الوقت بالإحالة والتعريض والتلويح إلى تخلف العقلية الشرقية، وانحطاط الواقع العربي الإسلامي على جميع الأصعدة والمستويات»[45].

وكذلك كتاب علم الدين لعلي مبارك، والذي يعد أول عمل روائي في التراث الأدبي العربي الحديث، وهو يصور قيام شيخ أزهري وابنه برحلة سياحية إلى فرنسا بصحبة مستشرق انجليزي، وذلك بعد قيامهم برحلة طافوا خلالها بعدد من المدن داخل مصر»[46]، فكان كل من الطهطاوي وعلي مبارك« مشغولين بالاستيعاب العقلي لكل ما يلفت نظرهما ووجدانهما في الغرب، ولذلك فإن جهودهما قد انصبت على تحقيق نوع من التصالح بين حضارة الشرق وحضارة الغرب»[47]، إذن فقد كان لقاء الشرق والغرب عند كل من الطهطاوي ومبارك وغيرهم من رواد النهضة والرحالة الأوائل، لقاء وفاق بين الحضارة الغربية والتراث العربي المشرقي وهو الطابع الذي طغى على تلك المرحلة من القرن التاسع عشر، إذ كانت صورة الغرب آنذاك صورة الخصم المتفوق ولم تكن صورة العدو المنتصر بعد.

الرؤية الحضارية:

وهي رؤية تعمقت فيها الهوية العربية عبر علاقاتها بالآخر الغربي في العقود الأولى من القرن العشرين، مع جيل من الكتاب الذين سافروا إلى الخارج لطلب العلم من أمثال: توفيق الحكيم، يحي حقي، سهيل إدريس وآخرون، من الذين كانت رؤيتهم للغرب على أنه رمز اللحرية والعلم والتقدم والإشباع الغريزي لكل المكبوتات الظاهرة والدفينة، ولكنهم سرعان ما استيقظوا من سباتهم، وذلك ليتعرفوا حقيقة الغرب المادي باعتباره فضاء حضاريا مخالفا عقديا وقيميا ودينيا وأخلاقيا واجتماعيا وثقافيا عن الفضاء الشرقي الروحاني»[48]، فالشرق يبقى شرق والغرب غرب، وقد تجلت هذه الرؤية في كثير من الروايات منها:

رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم (1938)، وهي من أشهر الروايات العربية، التي كان موضوعها الغرب، والتي رسمت اللقاء بين الذات العربية والأخر الغربي، ومابين روحانية الشرق ومادية الغرب تشكلت بنية هذه الرواية، إذ« تدور أحداثها في باريس، وتحكي قصة حب فاشلة بين مثقف عربي طالب للعلوم الغربية هناك وفتاة فرنسية، كانت نهايتها الفشل الذي يعود إلى اختلاف عقليتين وحضارتين، ويكشف توفيق الحكيم في شخصية بطله "محسن"، العصفور الوديع القادم من الشرق بكل ما يحمله العنوان من دلالات سيميائية تم على الوداعة والسذاجة والطيبة، والملامح الإنسانية والسمات الأخلاقية والرومانسية، في مقابل شخصية سوزي" المادية والنفعية التي لا تأبه بالمشاعر والأحلام؛ فواقعيتها تجعل الحب ومكانة الرجل بمقدار ما يقدم إليها من هدايا »[49].

نجد جدلية الثنائية (ذكورة أنوثة) متجسدة في رواية يحي حقي قنديل أم هشام (1944) بصورة واضحة، بالإضافة إلى الثنائيات (شرق اغرب)، (مادة/روح)، (علم/جهل)، وهي رواية « تصور التقابل الحضاري المتفاوت بين العقلية الغربية والعقلية الشرقية من خلال التقابل بين شخصية إسماعيل الروحانية وشخصية ماري المادية» [50]، إذ كانت العلاقة بين ماري وإسماعيل علاقة تأثير وتأثر، حيث أن ماري « فتحت قلبه على الجمال والثقافة والروح الإنسانية في الغرب، وفي الوقت نفسه عملت على تمزيق الوعي وانشطار الذات وتخريب الروح وقتل الضمير»[51]، وهنا أراد المؤلف تبليغ رسالة للمتلقي، تفيد «أن الحضارة الغربية ذات وجهين: فالغرب مكان الفلسفة والعلم والثقافة والجمال، ومكان لخراب الروح وتشيؤ الإنسان بماديتها المدمرة للآخرين خاصة» [52]، إذن فالغرب ذو حدين أو قطبين، سلبي وايجابي.

ومن جهة أخرى نجد رواية **الحي اللاتيني" لسهيل إدريس (1954)**، قد صورت أيضا اللقاء بين الشرق والغرب، عبر جدل الثنائية (شرق/غرب)، ونجد أن المرأة هنا هي أساس هذه العلاقة، فهي تحيل لرمز إنساني دال على الغرب، بينما يحيل بطل الحي اللاتيني لرمز إنساني دال على الشرق، ونلاحظ في الرواية « مضي الخطين في خط واحد: الاتجاه العربي والتمرد على الغرب، الوعي العربي الكامل في الوجدان العربي، والتمرد على الغرب والارتداد إليه »[53]، وحين عودة البطل إلى الغرب من جديد ليتزوج من عشيقته اجانين" فإذا بها ترفض الارتباط به، « وهذا يعني على مستوى الرمز، أنه حتى لو أراد الشرق العربي الارتباط بالغرب، فإن الطرف الآخر (الغرب)، سيرفض هذا العقد، إلا في حالة واحدة، هي أن يتم سيطرته عليه تماما، فالعلاقة يجب ألا تظل قوتها أو ضعفها في يد الشرق، وإنما يجب أن تكون في يد الغرب دائما» [54]، فالشرق شرق والغرب غرب، وهذا ما طرحته ثنائية (شرق/غرب) في الرواية.

أما **رواية "الغربة" لعبد الله العروي (1957)**، والتي عبر صاحبها من خلالها « عن الغربة التي يحياها، وكان قد عاد وشيكا من الغرب عقب منحة دراسية، ومن ثم كانت غربته تصوغ لنا ملامح (الهوية العربية عبر التجربة وفي فترة زمنية تاريخية »[55]، وتلتقي فيها جدلية الثنائيتين (ذكورة/أنوثة)، (شرق/غرب)، إذ أن الرواية تعكس «الازدواجية الحضارية بما فيها ظاهرة الاستعمار، وجدلية الذات والآخر، وعلاقة الشرق بالغرب، وبالتالي تقدم الرواية وعيا شاملا بالقضايا الاجتماعية المغربية في علاقتها بالحضارة الاستعمارية، وتصور الرواية كذلك آمال المغاربة في الاستقلال السياسي وآمال بعضهم في الغد المأمول» [56]، وبالرغم من وعي الروائي بالاضطراب في الهوية العربية والذي انعكس على الشخصيات، إلا أنه «لا يستطيع أن ينفي أثر الحضارة الغربية في الهوية العربية، وهو أثر نماء الاستعمار لسنوات، وعمقته التبعية للغرب حتى بعد الاستقلال، وهو ما بدا واضحا في جعل الشخصيات الغربية تحتل في الرواية مكانة بارزة »[57]، ونلمس هذا الاضطراب في علاقة الشخصيات بعضها ببعض.

ونجد كذلك جدلية الثنائية (ذكورة (الفحولة) أنوثة (المرأة)، متجسدة في رواية موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح (1966)، والتي تعكس لنا قبل كل شيء، تحدي الهوية العربية الواقع مغاير دون أن تفهم قوانين الحركة في هذا الواقع/الآخر» [58]، وبطل الرواية طالب عربي سوداني مصطفى سعيد"، الذي هاجر إلى لندن، وهو شخصية « ستتخذ من الفحولة الجنسية والشبقية وسيلة للانتقام والثأر من مجموعة من الإنجليزيات، وذلك تعبيرا عن رغبته في تصفية حساباته الشعورية واللاشعورية مع المستعمر، والذي كان قد فرض هيمنته الأمد طويل على بلد السودان باستغلال خيراته، واستعباد شعبه وإذلال أهله» [59]، فوقعن جميعهن في فخ مصطفى إلى أن جاءت "جين موريس" وقلبت الموازين، إذ يقدم لها مصطفى كل التنازلات من أجل أن ينعم بوطنها، لكنه لم يكن قادرا على أن يلمس شعرة منها إلا بمقابل مادي، كحرق مصلاة لا تريد رؤيتها أو تمزيق مخطوط عربي...، ويتضح لنا مما سبق أن« مصطفى سعيد رمز للشرق، في حين أن جين موريس. .. سفيرة الحضارة الغربية بكل ما تحمله هذه الحضارة من أنانية ونرجسية »[60]، فكانت جين موريس رمزا لسيادة الغرب على الشرق رغم محاولات الشرق في الحصول على السيادة والريادة، وعليه فإن « الصراع للبحث عن الهوية بالاتجاه إلى الشمال، اقترن بقصور في الوعي إزاء هذا الغرب، فمن المؤكد أننا يجب ألا نتعامل مع هذا الغرب بمنطقه هو (منطق الغزو العنف، الاستعمار...)، وإنما بمنطقنا نحن (منطق الفهم الوعي، التأمل...)»[61]، فالشرق والغرب لا يلتقيان.

وفي رواية موسم الهجرة إلى الشمال، نلاحظ ارتطام تلك البيئة العربية بالبيئة الغربية بعنف، ويمكن رصد هذا الارتطام عبر عاملين اثنين، لنرى خلالهما كيف تطورت الشخصية العربية في لهيب التعرف على الغرب، هذان العاملان هما على النحو التالي: عقدة التفوق، الصدام بالغرب »[62].

ورواية **ما لا تذروه الرياح" لمحمد العالي عرعار (1973)**، هي رواية تكشف عن خطط الاستعمار الظاهرة والباطنة، في طمس شخصيات الشعوب ومحو قيمهم وعاداتهم، وجاءت الرواية بشخصية "البشير"، كعبارة عن «عينة لما يمكن أن يقع نتيجة الفعل ورد الفعل بالتأثير والتأثر، حيث تنهض العلاقة الاستعمارية المقترنة بالرسالة التحضيرية من فكرة الفوقية والدونية الحضارية، وباتجاه هذه الثنائية الضدية يتشكل الفرق الحضاري بمنطق القوة والضعف على أساس السيطرة والاستسلام، والمؤثر والمتأثر، وانصياع البشير يدخل ضمن هذا الإطار»[63]، والذي رمت به أحداث الرواية إلى حضن "فرانسواز"، المرأة الفرنسية التي أحبته بغية الالتذاذ بتعذيبه والقسوة عليه، والتي احتلت حياة البطل كما احتلت بلدها أرضه. وكان الشخصية البشير « عقدة النقص والدونية تجاه غرب تمثله فرانسواز بطريقة تعكس الصراع الحضاري الأزلي بين سكان الشرق وجبابرة الغرب الطامعين إلى محو شخصيات الشعوب،

وجعلهم دمى تحركها أيديهم واملاءاتهم متى شاءوا وكيفما أرادوا» [64]، وألقت هذه الرواية الضوء على جدلية الصراع بين المستعمر والمستعمر و« آثار الاستلاب الحضاري الممثلة في شخصية البشير كنموذج يطغى عليه ما طغى على البعض في تلك الفترة»[65]، كما عكست رؤية مؤلفها بخصوص الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

الرؤية السياسية والحقوقية:

ويقصد بها تلك النظرة المبنية على تشخيص النظام السياسي لدولة ما، وتبيان طبيعة الحكم والدستور، ورصد علاقة الحاكم بالمحكوم سياسيا ومدنيا وعسكريا وحزبيا ونقابيا، وتشخيص الحالة السياسية للدولة، وتباين وضعية الحريات العامة والخاصة وحقوق الإنسان» [66]، إذ نجد مجموعة من الروايات العربية، التي تجسدت عبر نصوصها رؤية سياسية انتقادية تجاه العلاقة مع الغرب، من خلال طرحها لجدلية الثنائية (شرق متخلف وغرب متقدم)، والتي نظرت إلى علاقة الذات بالغير من زاوية سياسية، « فاعتبرت الغرب مكانا للحرية الحقيقية، وفضاء للحرية والديمقراطية، وحضنا حميميا لحقوق الإنسان، وملجأ سياسيا خيرا للاحتماء من الاستبداد العربي »[67]، ومن هذه الروايات رواية شرق المتوسط" العبد الرحمان منيف (1975)، والتي تصور البطل "رجب إسماعيل" وهو منبهر بحضارة الغرب وتقدمه، « فيفتتن بسياسته العادلة، وتشبثه بالديمقراطية الحقة وحقوق الإنسان، في حين يصف دول شرق المتوسط بالتخلف والاستبداد والبطش والقهر وقمع الذوات الداعية إلى الثورة والتغيير، ولاسيما الذوات العضوية المثقفة الواعية»[68]، ونلاحظ في الرواية استخدام الطابع الرمزي في التعبير عما تختلجه الذات من رغبات، كاستخدام الكاتب مثلا لمصطلح "اشيلوس"، وهو اسم لسفينة يركبها البطل، متأملا أن تحمل جسده إلى حيث توجد روحه، أي نحو الغرب، يقول البطل « اشيلوس..أنت سفينة الحرية، سفينة لها مائة باب، لا ترجعي، اقفزي دائما إلى الأمام، ويل لك إذا امسكوا بك يوما، إذا قبضوا عليك لابد وأن يفعلوا بك شيئا..»[69]، كما يقول مخاطبا أهل باريس« آه يا أهل باريس، لو جئتم بكتبكم إلى شاطئ المتوسط الشرقي، لقضيتم حياتكم كلها في السجون. سيأكلكم الندم، سوف تكفرون بكل شيء، واحذروا أكثر أن تفكروا بالأحزاب، لأن أية كلمة تجد من يلتقطها ويجعلها مؤامرة وتخريبة، وتدفعون ثمن كلمات حياتكم كلها في السجون الصحراوية، وهناك تصابون بالسل والتيفوس وتموتون »[70].

نلاحظ هنا أن البطل هارب من دون أمل في الرجوع، من القهر إلى حيث الأمل والسعادة، ونجد في هذا الصدد أيضا رواية حنا مينا "الربيع والخريف (1984)، والتي تحدث فيها صاحبها عن الغرب الاشتراكي، والتي تقابلت فيها الثنائية (شرق "متخلف ضائع" أغرب "متقدم اشتراكي")، وذلك من خلال تجربة عاطفية رومانسية بين الراوي (الخريف) و "بيروسكا"

(الربيع)، ولم تنته هذه العلاقة الرومانسية إلا بعودة كرم إلى بلده بعد الحرب العربية الإسرائيلية، وبعد وصوله إلى دمشق، سيزج به المخبرون في السجن عقابا له على نضاله السياسي اليساري »[71]، كما نجد رواية واسيني الأعرج "وقائع من رجل غامر صوب البحر"(1983)، تتحدث أيضا عن الغرب الاشتراكي، وما يخص عالم العمال والنشاط النقابي، والتي صورت لنا في نهايتها فرار البطل" عاشور المندرينا" إلى الخارج، معلنة بذلك نجاح التجربة الاشتراكية خارج البلاد، أي نجاحها في الغرب.

الرؤية العدوانية:

وهي رؤية تستند إلى اعتبار الغير أو الأخر مخالفا أو مقابلا للأنا أو الذات، وبالتالي فالغير يحاول تغريب الذات واقصاءها وتهميشها مع ممارسة العدوان والنبذ والحقد ضدها، فيصبح الغير هنا جحيما لا يطاق، لذا تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي»[72]، وحسب هيجل، تعكس هذه النظرة العدائية، جدلية (السيد/ العبد)، في حال انتصار أحد طرفي الصراع.

ومن النصوص الروائية التي جسدت هذه الرؤية والتي تحمل صورة عدائية للآخر، مبنية على النبذ والاحتقار والازدراء، رواية "الرحلة الأصعب لفدوى طوقان (1993)، وهي رواية سيرة ذاتية أو رواية أطوبيوغرافية، تحمل في طياتها رؤية سلبية قائمة على الصراع الجدلي والعدوان الوجودي والكينوني والحضاري والديني بين الذات الفلسطينية والأخر الصهيوني، وينطبق هذا الحكم على الكثير من الروايات الفلسطينية، وخاصة روايات غسان كنفاني، ولاسيما روايته الرائعة "عائد إلى حيفا»[73]، ونجد هذه الرؤية العدائية والصدامية متمظهرة كذلك في رواية "أمواج البحر المصطفى شعبان.

خاتمة

وعلى ضوء ما سبق يمكننا استخلاص النتائج التالية و تقسيم مسار وعي الذات ورؤية الآخر في الرواية العربية على ثلاث مراحل، ابتداء من مرحلة الانبهار أو ما يسمى بصدمة الحداثة، ويمكن حصر هذه المراحل كالآتي[74]:

1. مرحلة الانبهار في القرن التاسع عشر (الروايات الانبهارية).
2. مرحلة الوعي والتعقل مع سنوات القرن العشرين، وذلك عبر التوفيق بين منجزات الغرب ومعطيات الشرق (الروايات الحضارية).
3. مرحلة النضج وممارسة النقد الذاتي في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وسنوات الألفية الثالثة (الروايات السياسية والحقوقية والروايات ذات الصراع الجدلي...).

ونلاحظ أن الرواية الحضارية هي الغالبة على مستوى المتن السردي العربي، بالمقارنة مع الروايات ذات البعد الانبهاري، السياسي الحقوقي، والعدواني، كما نلاحظ تجنيس العلاقات الحضارية، في الرواية الحضارية.

وارتكزت الرواية العربية خلال مسارها على مجموعة من الخصائص والمقومات، لعل أهمها: [75]

- التقابل بين الشرق والغرب (سواء أكان رأسماليا أو اشتراكيا)، على المستوى المادي تارة وعلى المستوى الثقافي والروحاني مرة أخرى.
- استعراض جدلية الأنا والآخر ضمن علاقاتهما الإيجابية والسلبية.
- تحول جدلية الأنا والآخر من مرحة الانبهار والاندهاش والتعجب إلى المساءلة الحضارية والسياسية لإشكالية التقدم والتخلف المتعلقة بالشرق والغرب.
- تشغيل المرأة رمزا حضاريا للتأشير على ثنائية الشرق والغرب.
- توظيف ثنائية الرجولة والأنوثة للإحالة على الشرق والغرب في تقابلهما الحضاري والثقافي.
- اقتران البطل المحوري في الرواية بشخصية الكاتب تطابقا وسيرة وانعكاسا وتمثيلا واحالة، وخاصة في الروايات الأوطوبيوغرافية أو روايات السيرة الذاتية.
- خضوع الموضوع المرغوب فيه سيميائيا على مستوى الرغبة الثنائية الاتصال والانفصال، فبعد أن يقع التعايش بين الأنا والآخر سرعان ما تتحول العلاقة بينهما إلى انفصال بسبب التباين الحضاري بين الشرق والغرب.
- التأرجح فضائيا بين مكانين متقابلين: المكان الأصلي المكان المهجور)، ومكان الجاذبية أو المكان المرتحل إليه (مكان الاستقبال، مكان الاغتراب، المكان المهجور إليه).
- الانتقال إيقاعيا من الزمن الحاضر واقعا وكينونة وإساءة وتخلفا (الشرق)، إلى الزمن الممكن المستقبلي استشرافا وحلما وتقدما (الغرب).
- توظيف خطاب الاستغراب المضاد لخطاب الاستشراق.
- الغرب في الرواية نوعان من حيث الايدولوجيا، رأسمالي واشتراكي، وكلاهما رمز للتقدم والازدهار الحضاري.

وهذه أهم الثوابت التي ارتكزت عليها الرواية العربية، خلال مسارها في وعي الذات عبر رؤية الآخر، فكلما كان الأخر متعدد المزايا ظهر الأنا متعدد الأوجه.

الهوامش:

[1] ابن منظور: لسان العرب، تصحيح (امين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي)، (دار إحياء التراث العربى، مؤسسة التاريخ العربي)، ج10، ط3، لبنان، 1999، ص(34، 35)، مادة (غرب).

[2] أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان، 2001، ص72.

[3] أحمد سمايلوقتش: فلسفة الاستشراق، دار الفكر العربي، (د، ط)، مصر، 1998، ص 37.

[4] المرجع نفسه، ص(35، 36).

[5] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، (د، ط)، مصر، 1991، ص 29.

[6] حسن حنفي: محاضرة (ماذا يعني علم الاستغراب)، مركز الدراسات المعرفية، مصر، (04\02\2009)، ص3.

[7] حسن حلفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص22.

[8] المرجع نفسه، 29.

[9] بتصرف: حسن حلفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 36.

[10] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 36.

[11] المرجع نفسه، ص 36.

[12] علي إبراهيم النملة: الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب، (كتاب المجلة العربية) مكتبة الملك فهد الوطنية، (د، ط)، السعودية، 1436، ص(45، 46)

[13] طيب تيزيني: من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، دار الذاكرة، ط1، سوريا، 1996، ص310.

[14] علي إبراهيم النملة: الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب، ص 41.

[15] نقلا عن موقع الدكتور عبد الله الشارف: www.charefab.com، (12/02/2017)، (23:58)

[16] نقلا عن موقع الدكتور عبد الله الشارف: www.charefab.com، (12/02/2017)، (23:58)

[17] أحمد سمايلوقتش: فلسفة الاستشراف، ص 37.

[18] نقلا عن موقع الدكتور عبد الله الشارف: www.charefab.com، (12/02/2017)، (23:58)

[19] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 198.

[20] محمد التوجي: معجم علوم العربية، دار الجيل، دا، تونس، 2003، ص222.

[21] مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع، (د، ط)، مصر، 1983، ص 87.

[22] ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 87، (مادة اخر)

[23] لويس معلوف: المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، ط10، لبنان، (د، ت)، ص5، (مادة اخر).

[24] حسن شحاته: الذات والآخر في الشرق والغرب، دار العالم العربي، طا، مصر، 2008، م25

[25] عبد الله أوغرب: الذات والآخر في روايتي الغربة واليتيم لعبد الله العروى، مذكرة ماجيستر، جامعة ابوبكر بالفايد، تلمسان، (2011. 2012)، ص63.

[26] حسين عبيد الشمري: صور الآخر في الخطاب القرآني، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2008، ص17

[27] مارى مادلين داقي: معرفة الذات، منشورات عويدات، ط3، لبنان - فرنسا)، 1983، ص (150.

[28] المرجع نفسه، ص 150.

[29] حسين عبيد الشمري: صور الآخر في الخطاب القرآني، ص16.

[30] المرجع نفسه، ص(17-، 16)

[31] حسن شحاتة: الذات والآخر في الشرق والغرب، ص17.

[32] عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي" ابن الفارض انموذجا، دار الحوار، ط1، سوريا، 2005، ص 281

[33] صلاح صالح: سرد الأخر، المركز الثقافي العربي، طا، المغرب - لبنان، 2003، ص(10.

[34] حسين عبيد الشمري: صور الآخر في الخطاب القرآني، ص16.

[35] مجموعة من المؤلفين: صورة الأخر العربي نظرا ومنظور إليه ص 814

[36] المرجع نفسه، ص 814.

[37] مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة، (د، ط)، الكويت، 1990، ص 51.

[38] مصطفى عبد الغاني: الاتجاه القومي في الرواية، ص92.

[39] نبيل سليمان: وعي الذات والعالم، دار الحوار، ط1، سوريا، 1985، ص (5-6)

[40] مجموعة من المؤلفين: صورة الآخر العربي ناظر ومنظورا إليه، ص 816.

[41] نبيل سليمان: وعي الذات والعالم، ص6.

[42] مجلة الأزمنة الحديثة: (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي)، جميل حمداوي، العدد (3،4)، المغرب، (2011/ 10 / 01)، ص 137.

[43] المرجع نفسه، ص 137.

[44] مجموعة من المؤلفين: صورة الأخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، (814، 815).

[45] مجلة الأزمنة الحديثة، (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي)، جميل حمداوي، ص138.

[46] مجموعة من المؤلفين: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، م 815.

[47] المرجع نفسه، ص 815.

[48] مجلة الأزمنة الحديثة: (صور جلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربى)، جميل حمداوي، ص138.

[49] جمال مباركي: الغريب في الرواية العربية الحديثة، أطروحة الدكتوراه، مر(123، 124).

[50] مجلة الأزمنة الحديثة: (سور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربى)، جميل حمداوي، مر (140.

[51] جمال مباركي: الغرب في الرواية العربية الحديثة، أطروحة الدكتوراه، ص 123.

[52] المرجع نفسه، ص 123.

[53] مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرواية، ص95.

[54] المرجع نفسه، ص 96.

[55] مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرواية، ص 107.

[56] مجلة الأزمنة الحديثة: (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربى)، جميل حمداوي، ص(140.

[57] مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرواية، ص108.

[58] المرجع نفسه، ص 100.

[59] مجلة الأزمنة الحديثة: (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي)، جميل حمداوي، ص140.

[60] عبد الله او غرب: الذات والأخر الغربي في روايتي الغربة والدنيم العبد الله العروي، مذكرة ماجستير، ص 33.

[61] مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرواية، ص 100.

[62] المرجع نفسه، ص 97.

[63] عبد الله اوغرب: الذات والأخر الغربي في روايتي الغربة واليتيم" لعبد الله العروي، م 38.

[64] المرجع نفسه، ص(40.

[65] المرجع نفسه، ص 41.

[66] مجلة الأزمنة الحديثة: (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي)، جميل حمداوي، ص 141.

[67] المرجع نفسه، ص 141.

[68] المجلة الأزمنة الحديثة: (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي)، جميل حمداوى ص 141.

[69] عبد الرحمان منيف: شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1975، ص 103.

[70] المرجع نفسه، ص 155.

[71] مجلة الأزمنة الحديثة: (صور جدلية انا والأخر في الخطاب الروائي العربى)، جميل حمداوى، ص 141.

[72] - مجلة الأزمنة الحديثة: (صور جدارية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي)، جميل حمداوي، ص 141.

[73] المرجع نفسه، ص142.

[74] المرجع نفسه، ص444،

[75] بتصرف: مجلة الأزمنة الحديثة، (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي)، جميل حمداوي، ص143